

سلطنة عمان
وزارة الاوقاف والشؤون الدينية
كلية العلوم الشرعية

القيم الإسلامية في الثقافة الاجتماعية

إعداد الطالب
خليفة بن أحمد بن علي الرحيلي
بكالوريوس الفقه وأصوله
إشراف
د/ مشرح علي أحمد علي
المناقش
د/ محمد الزيني

كلمة شكر

لابد لنا ونحن نخطوا خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية
مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين
بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من
جديد ، وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر
والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة
في الحياة.

إهداء

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائله فأظهر
بسماحته تواضع العلماء وبرحابته سماحة العارفين.

وكذلك

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أبي الذي لم يبخل علي يوماً بشيء

وإلى أمي التي زودتني بالحنان والمحبة . وإلى إخوتي وأسرتي جميعاً .

أقول لهم: أنتم وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة .

وكذلك

أهدي هذا العمل الى زوجتي واولادي الذين وقفوا معي في كل الظروف وكانوا عوناً

لي على اتمام دراستي الجامعية

ثم إلى كل من علمني حرفاً أصبح سناً برقه يضيء الطريق أمامي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والرسل والخلق أجمعين سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم).

أما بعد:

لاشك القيم تعد عنصراً رئيسياً في تشكيل ثقافة أي مجتمع في القديم أو في العالم المعاصر ، وفي كل زمان ومكان ، فلا حضارة ولا تقدم ولا نمو ولا ازدهار بدون أخلاق وقيم رفيعة وسامية ، ولذلك ، فإن أهم ما يتميز به الإسلام هو القيم والأخلاق السامية...

إن القيم ما هي إلا المثاليات والغايات العليا للأفراد والمجتمع ، كما أن القيم تلعب أيضاً دوراً كبيراً في إدراك الأفراد للأمور حولهم وكذلك تصورهم للعالم المحيط بهم ، فهي تعبر عن البيئة أحسن تعبير.

كما أن القيم تعتبر مرتكزات أساسية تقوم عليها عملية التفاعل الاجتماعي ، وتعد جانباً مهماً من جوانب البنية الفوقية للمجتمع. ولذلك ، نجد أنه مع كل تغيير في التركيب البنائي للمجتمع لابد أن تتغير القيم والمثل والغايات والأخلاق والسلوكيات ، لتواكب التركيب البنائي الجديد للمجتمع ، وينشأ صراع قيمي بين القيم الجديدة أو المستهدفة من التغيير والقيم السائدة بالفعل في المجتمع. وإذا نظرنا لجوهر القيم ذاتها ، فنجد أنها لابد وأن تتضمن عنصر الانتقاء والفضيل ، مما يجعلها تختلف من مجتمع لآخر، بل تختلف عند الشخص الواحد تبعاً لرغباته واحتياجاته وتنشئته، وبذلك يتكون ترتيب هرمي للقيم مما يترتب على ذلك أن تشكل بعض القيم من خلال القيمة العليا للمجتمع ومن خلال النسق القيمي للفرد والمجتمع.

فالقيم أيضاً لا يمكن أن تنفصل عن الأخلاق والمثاليات والغايات للفرد والمجتمع ، ولذا ... فلقد أصبحت القيم الآن ، وكما كانت دائماً ، أحد عناصر التقدم الحضاري والتنموي في عالمنا المعاصر، حتى في العصر الذي نعيش فيه عصر العولمة والأسرة الكونية الواحدة ، والسموات المفتوحة والتجارة الحرة . وسنعرض هنا صور القيم الإسلامية بصورة سهلة ومباشرة ، لتتعرف على المفهوم الشامل لها الذي غطى الحياة بأسرها بالرفقة والحب والحنان، ولم لا. فالإسلام دين الجميع ... دين الإنسانية جمعاء يدعو إلى الحب

والتعاون والتكامل والتكافل والتعاقد والأمن والسلام والاطمئنان للجميع، لأنه بالفعل دعوة قيم وأخلاق إنسانية عالمية سامية نبيلة رفيعة تصلح لكل زمان ومكان ، ولو تمسكنا بها لفزنا في الدنيا والآخرة. ولو نظرنا إلى عالم اليوم لوجدناه في حاجة ماسة إلى منظومة القيم والأخلاق المتكاملة سواء أكانت : خلقية واجتماعية وسياسية وعائلية وروحية والتي دعانا إليها إسلامنا الحنيف، وذلك من أجل نشر الأمان والحب والإخاء والسلام في بقاع العالم أجمع.

ويتمثل أهمية البحث في :

تبرز أهمية هذه الدراسة من الأهمية البالغة للقيم الإسلامية في تحقيق أهداف التنمية الاجتماعية ، المتمثلة أساسا في تحقيق المطالب الضرورية لكل فرد في المجتمع الروحية والمادية ، حسب الروية الإسلامية للتنمية ، والتي عبر عنها الفقهاء المسلمين بالمتطلبات الضرورية في إطار مقاصد الشرع المتمثلة أساسا في الكليات الخمس .

الهدف :

*إبراز دور القيم الإسلامية ، التي تشكل قناعة دينية للمجتمع في تحقيق متطلبات الروحية والمادية .

*إبراز الاهداف الحقيقية للتنمية الاجتماعية التي يتوجب السعي نحو تحقيقها .

*إبراز أهمية النظام الاجتماعي القائم على مبادئ وقيم الدين الاسلامي ، في تنظيم الحياة الاجتماعية للمجتمع ، وتوجيهها نحو الاهداف الحقيقية للتنمية .

اشكالية البحث :

*من المسلمات المعروفة أن المجتمع البشري لا بد أن يستند في تنظيمه وتسييره على نظرية حضارية ، أو قاعدة حضارية مستخلصة من تاريخ الامة الإسلامية وتطورها ، نابعة من حاجاتها ، متفقة مع أطرافها وخصائصها ، مستفيدة من تجارب الانسانية كلها ، كي توجد بين أبنائها ، وتدفعهم الى التفاهم

المشترك والتعاون في بناء الحياة والعمران ، والمجتمعات الاسلامية عربية وغير عربية لازالت تعاني تخلفا في جميع الميادين مقارنة بالمجتمعات الغربية.

والمنهجية التي قد رأيت أن أبحث في هذا الموضوع وهي عن طريق متابعة بعض الكتابات التي تطرقت لهذا الموضوع بعناية بالغة .

ومن خلال بحثي المتواضع لم أجد ما يفي بالغرض من خلال التطرق إلى العلاقة المباشرة بين القيم والثقافة، ومن المعلوم أن الثقافات تابعة من القيم المتأصلة في الشعوب والمجتمعات وكذلك القيم تتشكل من تراكم الثقافة وتأصلها من جيل إلى جيل حتى تصبح هي المشكل الأول لها...

كذلك تتبع بعض البرامج الوثائقية والنظر في الواقع ومتابعة أخبار الأمم السالفة وكيف كانت علاقة ثقافتها بقيمها واتضح جليا أن هناك علاقة مترابطة متولدة بين القيم والثقافة.

إما الصعوبات التي واجهتها فانه في كل عمل لابد أن يتخلله بعض المعاناة والصعوبات... ولاشك أن إعداد بحث التخرج عمل يحتاج إلى إعمال جهد ويتطلب وقتا مكثفا...

ومن الصعوبات كذلك التي واجهتني أثناء إعداد البحث صعوبة الوصول إلى المراجع والمصادر المعنية على إعداد البحث بطريقة لائقة.

ولقد وفقني الله تعالى في إعداد هذا البحث على فصلين ونسرد فصوله ومباحثه ومطالبة على النحو التالي :

الفصل الاول

تعريف القيم الإسلامية وخصائصها

- المبحث الأول : تعريف القيم الاسلامية
- المبحث الثاني : خصائص القيم الاسلامية
- المطلب الأول : التدرج التكليفي
- المطلب الثاني : الوسطية العادلة
- المطلب الثالث : الهيمنة التشريعية
- المبحث الثالث : نماذج من القيم الاسلامية
- المطلب الأول : نموذج قيمة العفة
- المطلب الثاني : نموذج قيمة صلة الرحم
- المطلب الثالث : نموذج قيمة الايثار
- المطلب الرابع : نموذج قيمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الفصل الثاني

دور القيم في بناء الشخصية المسلمة

- المبحث الأول : المقاربة النظرية في دراسة القيم
- المطلب الاول : اثار القيم الاسلامية في بناء الشخصية الانسانية
- المطلب الثاني : اثر القيم في بناء ثقافة المجتمع
- المبحث الثاني : المنظور النفسي
- المبحث الثالث : المنظور الاجتماعي

الفصل الأول

تعريف القيم الإسلامية وخصائصها

المبحث الأول : تعريف القيم الإسلامية

المبحث الثاني : خصائص القيم الإسلامية

المطلب الأول : التدرج التكليفي

المطلب الثاني : الوسطية العادلة

المطلب الثالث: الهيمنة التشريعية

المبحث الثالث : نماذج من القيم الإسلامية

المطلب الأول : نموذج قيمة العفة

المطلب الثاني : نموذج قيمة صلة الرحم

المطلب الثالث : نموذج قيمة الايثار

المطلب الرابع : نموذج قيمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الأول : تعريف القيم الاسلامية

في اللغة : القيم : جمع قيمة ، وهي في الاصل ثمن الشيء بالتقويم ، وتكون القيم بمعنى الاستقامة كما قال كعب ابن زهير^(١)

فهم صرفوكم حين جزتم عن الهدى بأسيافهم حتى استقمتم على القيم

وقد غلب في اصطلاح العصر اطلاق قيم الشيء على خصائصه التي تميزه وتعلي قدره.

و الإسلام : لغة هو الانقياد والإذعان، قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾^(٢)

واصطلاحا : هو دين الله الحق الذي اصطفاه لعباده اجمعين وبعث به النبيين،

قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣)

١ سماحة الشيخ احمد بن حمد الخليلي /القيم الاسلامية ودورها في تقديم الحلول للمشكلات البيئية العالمية /وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان/ص ١٥

٢ ال عمران ٨٣

٣ ال عمران ١٩ ص ١٥

المبحث الثاني : خصائص القيم الإسلامية

القيم الإسلامية هي مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة علي التفاعل الحي مع المجتمع ، وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة. وهي اعظم الاسس التي اعتمدت عليها القيم الانسانية .

والقيم الإسلامية في مجموعها نوعان :

- ١ . القيم السلبية : أو قيم التخلي : وتتجلي في هجر ما نهى الله عنه من شرور وموبقات كشرب الخمر والزنا والكذب والسرقة... الخ
 - ٢ . القيم الايجابية : وهي القيم التي كلف المسلم بالتخلي بها واخذ نفسه بمقتضياتها مثل: الصدق والأمانة والرحمة وصلة الرحم والكرم وحسن الجوار.
- ومن فضول القول إن المسلم مطالب بالوعيين معا .. مطالب بترك ما نهى الله عنه ، ومطالب بفعل ما امر الله به ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا... ﴾ (١)
- وأغلب القيم الإيجابية يتضمن نهيًا عن نقيضها والعكس صحيح : فالأمر بالصدق مثلاً يتضمن نهيًا عن الكذب ، والنهي عن السرقة يعد أمراً ضمناً بالأمانة .. الخ
- والقيم الإسلامية اتسمت بسمات وخصائص متعددة : منها ما يتعلق بنهج التكليف وطريقته ، وأغلبها أساسي أصيل لا ينفصل عن طبيعتها وجوهرها ، وهذه السمات والأبعاد تكاد تتلخص فيما يأتي :

- ١ . التدرج التكليفي.
- ٢ . الوسطية العادلة.
- ٣ . الهيمنة التشريعية. (٢)

المطلب الأول : التدرج والتكليف :

تمهيد:-

التدرج سمة من سمات الوجود الحي : فخلق الاحياء يتكامل تدريجيا نطفة ، علقه، مضغة، عظام تكسى لحما.. الخ .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ^(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ^(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ^(١٤) ﴾ ^(١)

والكائن الحي بعد أن يرى نور الحياة يتدرج به الوجود من رضيع إلى طفل .. إلى شاب .. إلى كهل .. الشيخ . وهذا ما عرضة القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ^(١) يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ^(٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ^(٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ^(٤) ﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لُبِّينَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ يُعَلِّمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ^(٥) ﴾ ^(٦)

وقاعدة التدرج التشريعي هي من أبرز سمات النهج الاسلامي في التشريع وفرض التكليف مراعيًا في كل أولئك قدرة الناس واستطاعتهم ^(٧).

وتركزت التكاليف المكية في القرآن علي الكليات وأصول العقيدة من توحيد الله وترك عبادة الأصنام وإخلاص العبادة له وحده ، ويذكر الناس بالبعث والجزاء ، ويصف مشاهد القيامة ، ويعرض صور النفخ في الصور والقيام من القبور وتوزيع الصحف ودخول المتقين الجنة ، ودخول الكافرين النار. فلما انتقل النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة .. ارتفع منسوب التكاليف لتلبي مقتضيات نشأت الدولة الجديدة ، وليتم التشريع الخالد للناس كافة في كل العصور جاءت سور القرآن طوالا بعضها يتكون من مئات الآيات ، وهي تفصل قواعد المعاملات والفرائض والحدود والجهاد والحقوق والقوانين المدنية والتجارية. فالزكاة مثلا لم تفرض في مكة بل فرضت في المدينة بعد الهجرة بعامين وصيام رمضان وكذلك زكاة الفطر لم يفرض إلا بعد الهجرة بقرابة عام ونصف. والصلاة التي فرضت بمكة في العام الثاني عشر من البعثة.(١)

فعن عروة بن الزبير عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر .

ومعنى ذلك ان المسلمين ظلوا قرابة عشر سنوات يصلون ويعبدون الله بغير تحديد حتى فرضت الصلاة ثنائية قبل الهجرة بعام تقريبا ، ثم صارت ا لصلاة رباعية في المدينة . وكذلك لم يشرع الجهاد إلا بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، لذلك نجد آيات الجهاد كلها مدنية ، وتتفق مع قاعدة ((التدرج التكليفي)) بدأت مشروعية الجهاد بالإذن لا ((بالفرض)) وذلك في قوله تعالى : " أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ " (٣٩) (٢)

وذلك مراعاة لأمرين :

الأول : هو واقع المسلمين العقائدي : فقد مضى على إسلام أغلبهم أكثر من عشر سنوات ، وهي مدة كافية لصقل نفوسهم ، وفتح قلوبهم لتقبل كل جديد من التكليف.

والثاني : هو واقع المسلمين الاجتماعي والسياسي الجديد : فقد أصبح لهم دولة جديدة لها أسسها وأركانها ودستورها وقيادتها .^(١) وقد صور القرآن الكريم الفرق الهائل بين حال المسلمين في مكة

وحالهم في المدينة في قوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ**

يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَزَوَّدَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٢) (٢٦) " ﴿^(٣)

ولكن التدرج التشريعي يظهر بأجلى صورة وحكمة في تحريم الخمر ، لقد كان المجتمع الجاهلي مريضا بشرب الخمر والإقبال عليها وإدمانها وكان ذلك من أبرز أمراضه الاجتماعية ، يصور ذلك قول السيدة عائشة رضي الله عنها : ((حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا))^(٤)

ومن المعلوم ان القرآن الكريم لم ينزل في يوم أو يومين ، ولم ينزل في عام أو عامين ، بل نزل منجما علي مدى ثلاثة وعشرين عاما .. في شكل ((جرعات)) دينية وخلقية واجتماعية ترتبط بالأحداث والوقائع فكان كالدواء الذي يؤتي نتائجه الطيبة علي المدى الطويل وجرعات قليلة تبعا لمقتضيات الأحوال .^(٥)

١ المدخل الى القيم الإسلامية/ص ٤٢

٢ الانفال ٢٩

٣ محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري/صحيح البخاري/دار طوق النجاة/الطبعة الأولى/١٥/٣٩٤/٤٦٠٩

٤ المدخل الى القيم الإسلامية/ص ٤٥

وكما إن مسيرة تحريم الخمر مرت بمراحل زمنية تمثلها هذه الايات التي نوردتها بترتيب نزولها:

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ﴾ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (٣)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٥) (٦)

وهذه الآيات الأربع تمثل موقف الإسلام من الخمر إلى أن وصل الى القرار الحاسم بتحريمها تحريماً قاطعاً أي انها تمثل أربع مراحل تصاعدية في طريق التحريم وهي:

١. التوطئة بالتلميح البعيد
٢. التوطئة بالتصريح المباشر.
٣. التحريم الموقوت .
٤. التحريم النهائي الحاسم (٥).

١ النحل ٦٧

٢ البقرة ٢١٩

٣ النساء ٤٣

٤ المائدة ٩٠-٩١

٥ المدخل الى القيم الإسلامية/ص ٤٨

وسنحاول أن نعرض في ايجاز لكل مرحلة من هذه المراحل حتى نقف على روح الدين الإسلامي وعبقريته في هذه السمة .. سمة التدرج التشريعي :

١. التوطئة بالتلميح البعيد :

فآية ٦٧ من سورة النحل وهي مكية بلا خلاف تشير إلى أن القرشيين يستخرجون من البلح والأعناب خمرا وألوانا أخرى من الرزق الحسن . وقد ذهب بعض المفسرين الى أن في ذلك وجهين : أولا : أن تكون منسوخة ، وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي . ثانياً : أن يجمع بين العتاب والمنة .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ، وأراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يؤكل ويشرب حلالا من هاتين الشجرتين . وقال ابن العربي : أسد هذه الاقوال قول ابن عباس ، يخرج ذلك على أحد معنيين :

اما أن يكون ذلك قبل تحريم الخمر ، وأما أن يكون المعنى : أنعم الله عليكم بثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه ما حرم الله عليكم اعتداء منكم ، وما أحل لكم اتفاقا او قصدا إلى منفعة أنفسكم .

٢. التوطئة بالتصريح المباشر:

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ﴾ (١)

ويقال إن سبب نزول هذه الآية.. أن عمرا ومعاذاً ونفراً من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنى في الخمر فإنها مذهب للعقل ، مسلبة للمال ، فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون . وهذا السؤال يدل على ان المسلمين كانوا بفطرتهم ، وبإيحاء آية النحل يشعرون بالخرج في شربها ، حتى إنه كان هناك من الجاهليين من حرّمها علي نفسه . (٢)

٢ للأمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي محمد الجوزي/زاد المسير في علم التفسير/ دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان/ ج ١/ ص ٢٠٣

كما يدل هذا السؤال على أن المسلم كان حريصا على استكمال مكارم الاخلاق والالتزام بما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخمر كانت سلعة تجارية في الجاهلية .. والمدينة كانت غاصة بالحنانات .. وكثير من المسلمين كانوا يشربون بل يدمنون الشرب ، ومن هؤلاء : علي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب الذي وصف نفسه بأنه ((كان رجل خمر في الجاهلية))^(١).

وفي الميسر أو القمار كسب .. وهو وأن اشترك مع الخمر في كونه كسبا ماديا فإنه يختلف عنه في أن الكسب الذي يحققه طرف يعنى خسارة الطرف الآخر لذلك كان منطق الآية يمثل مرحلة قوية جدا لتهيئة النفوس للتحريم القاطع وهي :

أ. فقدم الإثم على المنافع.

ب. ووصف الإثم بأنه كبير ، وجعل المنافع فعلا من الوصية

ج. ثم حسم الموازنة بأن إثمهما أكبر من نفعهما.

١ المدخل إلى القيم الإسلامية / ص ٥٠

٣. التحريم الموقوت:

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾^(١)

يروى سبب نزول هذه الآية عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما ، فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا ، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت ((قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. ونحن نعبد ما تعبدون))^(٢)

فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات . فحُرمت الآية ونُهِت عن أن يأتي المسلم صلاته وهو سكران. والآية هي آخر تمهيد للتحريم القاطع الحاسم ، فان من يتقى أن يجيء عليه وقت الصلاة وهو سكران يترك الشرب عامة النهار وأول الليل لانتشار الصلوات الخمس في هذه المدة ، فالوقت الذي يبقى للسكر هو وقت النوم من بعد العشاء إلى السحر ، فيقل الشرب فيه المزاحمة للنوم الذي لا بد منه، وأما أول النهار من صلاة الفجر إلى وقت الظهر ، فهو وقت للعمل والكسب لأكثر الناس، ويقل أن يسكر فيه غير المترفين الذين لا عمل لهم. وقد ورد أنهم كانوا بعد نزولها يشربون بعد العشاء فلا يصبحون إلا وقد زال السكر، وصاروا يعلمون ما يقولون .

وأمام هذه الصعوبة العملية في التوفيق بين أوقات الصلاة وفرصة الشرب والسكر..

هذه الصعوبة التي تكاد ترتفع الى مرتبة الاستحالة.. أمام العجز أو شبه العجز عن هذا التوفيق..

أقلع أغلب المسلمين عن شرب الخمر لأنهم كانوا حريصين على حضور صلاة الجماعة مع النبي عليه السلام ، وأصبح التحريم القاطع قاب قوسين أو أدنى..

١ النساء ٤٣

٢ السيد الأمام محمد رشيد رضا/تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار/دار الكتب العلمية/بيروت-لبنان/١٨٦٥م-١٩٣٥م/ج٥/ص٩٣

٤. التحريم النهائي القاطع:

بين آية البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ..﴾

وآية النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى..﴾ قرابة سبع سنين ..

وبعد آية النساء بعام أو بعض عام نزلت آيتا المائدة اللتان تحملان التحريم الحاسم القاطع ، وهذا التوالى بعد هذه الفترة الزمنية القصيرة يدل على أن النفوس كانت قد تهيأت تماما لتلقى هذا التحريم الحاسم (١) يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)﴾ (٢)

وجاءت الأحاديث النبوية مؤيدة لهذا التحريم القاطع ، ولعن النبي عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيتها وبائعها واكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له ، فعن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله الخمر ، وبائعها ومشتريها ، وعاصرها ، وحاملها والمحمولة إليه وشاربها). (٣)

١ المدخل إلى القيم الاسلامية / ص ٥٢

٢ المائدة ٩٠-٩١

٣ الربيع بن حبيب بن عمر بن الربيع الفراهيدي/مسند الامام الربيع / ١/ ١٢٣/ ٦٢٥

كما حرم الإسلام أن تتخذ دواء : فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أنزل الداء ، والدواء ، وجعل لكل داء دواء فتداؤوا ، ولا تتداؤوا بالحرام .. وقد سئل عليه السلام عن الخمر في الدواء ، فقال : إنها داء وليست بالدواء، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَحُمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وائِلٍ عَنْ أَبِيهِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ الْجُعْفِيَّ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَمْرِ فَنَهَاهُ أَوْ كَرِهَهُ أَنْ يَصْنَعَهَا فَقَالَ إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ. (١)

ويروى عنه أنه قال: من تداوى بالخمر فلا شفاه الله .

وتظهر قيمة الأسلوب الإسلامي في إبطال الخمر وتحريمها: عصرا وشربا وحملا وتجارة وعلاجاً.. إذا ما نظرنا الى محاولة مشهورة لتحريم الخمر في أمريكا، وقد أخفقت إخفاقا ذريعاً على الرغم من الجهود الجبارة التي بذلتها الدولة في هذا المجال: فقبل أن يدخل التعديل الثامن عشر على الدستور الأمريكي أقيمت في البلاد دعاية واسعة النطاق ضد الخمر، وبقيت الرابطة المحاربة لوجود الحانات التي تسعى وتجتهد في ترغيب الأمريكيين عن الخمر ، وتثيبت مضارها بإلقاء الخطب وتأليف الرسائل والكتب وعرض المسرحيات وأفلام السينما ، وأفنت في سبيل هذا التبليغ عشرات السنين، وبذلت الأموال، حتى قدرت أن صفحات النشر والإذاعة بلغت تكاليفها من بداية الحركة إلى سنة ١٩٢٥ مبلغ ٦٥ مليون دولار. وأنه بلغ عدد الصفحات التي سود بياضها لبيان مساوئ الخمر والزجر عنها ٩ آلاف مليون صفحة. ذلك قبل بدء التجربة.

كانت النتيجة بعد هذه الاجراءات القوية المتواصلة .. وبعد هذه المعاناة الطويلة .. لاشيء مما اضطرت معه الدولة إلى إلغاء القانون إلغاء نهائيا وإباحة الخمر للناس بلا قيود.. (٢)

١ مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري/صحيح مسلم/دار طيبة/٢٠٠٦م/١٠/١٩١/٣٦٧٠

٢ المدخل الى القيم الاسلامية ص ٥٦

واهم ما حققه الإسلام بهذا (التدرج التشريعي):

أ . ضمان تنفيذ العمل (فعلا أو تركا) : بعد أن تهيأت النفوس لذلك خطوة خطوة : فالتدرج تيسير يوفر علي المسلم الإجهاد والمشقة .. لذلك كانت (الاستطاعة) شرطا من شروط القيام بالتكليف (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وعن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما قال : كنا اذا بايعنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على السمع والطاعة ..يقول لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما استطعتم . وعن أميمة بنت رقيقة قالت : ((أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نسوة بايعنه على الإسلام . فقلن يا رسول الله : نبايعك علي ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فيما استطعتن وأطقتن))^(١)

ب . ترسيخ التكاليف والقيم في نفوس المؤمنين : فبتدرج هذه التكاليف وتوزيعها علي مدى زمني طويل يثبت جذورها في أعماق المؤمن ، ويجعله قديرا علي حفظها والحفاظ عليها ، حتى تصبح جزءا من كيانه ونسيجه النفسي والعقلي والروحي ، ولو نزلت هذه التكاليف مرة واحدة لأنسى بعضها بعضا .^(٢)

ولنا في القرآن المثل الأعلى : لقد نزل القرآن الكريم منجما علي مدى ثلاثة وعشرين عاما ، فحفظه المسلمون وحافظوا عليه والتفوا حوله وأحبوه واعتزوا به وأخذوا أنفسهم به أمرا ونهياً ، وكان منهم من يتعمد مع قدرته ألا يحفظ آية جديدة إلا بعد أن يأخذ نفسه بالسابقة عليها ويعمل بها في حياته وحياته اسرته .

١ صحيح البخاري/١٢/٢٨٠/٤/٣٦٠

٢ المدخل الى القيم الإسلامية/ص٤٤

إن التهيؤ النفسي يجعل النفس تتقبل التكاليف بقبول حسن، لأن النفس بهذه التهيئة تكون قد تفتحت واستعدت للتلقي، فيمضى الأمر يسري في أعماقها في سهولة ويسر سريان الدم في العروق والنور في الظلمات .

لم ينزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا بعد سنوات من تحنّته شهرا كل عام في حراء ، ينقطع فيه عن الناس وينقطع فيه عن الناس ويعبد ربه ويتأمل عظمة الله في سمائه وأرضه بعيدا عن شرور الناس وصراهم ومشكلاتهم .

وقبل نزول أول آية من آيات القرآن الكريم كان محمد ذا نفس نقية وقلب صاف مهياً لتلقي هذا الكتاب العظيم بعد أن انصقلت هذه النفس العظيمة ويأتي هذا من خلال الاعداد الالهية، والاصطفاء، فقد اختاره الله، ونفى نفسه من شرور النفس الامارة بالسوء .^(١)

أولاً : صرف الله عنه كل موبقات الجاهلية ومفاسدها وملاهيها وأصنامها ، وما خصه الله سبحانه وتعالى به من تعظيم رب السماوات والارضين .

ثانياً : الرؤيا الصادقة : فعن عائشة رضي الله عنها أن أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة الله به .. الرؤيا الصادقة فلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح ، قالت ((وحبب إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده)) وبعد هذه التمهيدات والتهيؤات الخلقية والنفسية والروحية ، كان نزول القرآن حيث التربة معدة لتلقى البذرة الخالدة التي صارت شجرة شامخة آتت أكلها ثمارا دانية القطوف.

١ المدخل الى القيم الإسلامية/ص ٤٤

المطلب الثاني : الوسطية المعتدلة :

تمهيد:-

الإنسان بطبيعته تكوينية له رغبات جنسية وروحية وجسدية وإذا لم تضبط هذه الرغبات بضوابط شرعي وقانوني فستؤدي إلى الدمار والهلاك والاضطراب،، ويبقى الانسان تائها حائرا هائجا.. لايرده شرع ولايردعه قانون... وهذا واقع وشاهد في كثير من المجتمعات التي غلبت جانبا على جانب من الطبيعة التكوينية للإنسان...

وبالموازنة بين التشريع الإسلامي في تحريم الخمر يتبين لنا عبقرية الإسلام التشريعية ، إذ راعى حدود القدرة الإنسانية ، والطاقة البشرية في تحمل ماتدعي إليه النفس البشرية ، ولاعجب.. فالله هو خالق الإنسان.. وهو أعلم بطبيعته، لذلك أفلح التشريع في زرع القيم الإسلامية. كانت هذه هي السمة الأولى من سمات (القيم الإسلامية) وهي التدرج التشريعي. وسنعرض في الصفحات التالية لسمة أخرى جوهرية من سمات هذه القيم وأعني بها سمة (الوسطية المعتدلة) الإسلام لم ينكر دافع الطعام والشراب وهي تحافظ على استمرار الحياة وحاجة الإنسان للجنس لكسر الشهوة فضلا عن أنه طريق لحفظ النوع وإنما نظمها وفق نظام معتدل.(١)

أ . فحل المشكلة الأولى بإباحة الطعام والشراب من طيبات ما رزق الله اعتمادا على العمل الشريف قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) والعمل يجب أن يكون حلالا : حلالا في مادته وبضاعته : فلا عمل مشروع بالالتجار في الخمر أو لحم الخنزير او أعراض الناس . كما يجب أن يكون حلالا في كيفية التكسب من ورائه : فلا غش ولا استغلال ولا ربا ولا كذب قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٣)

١ د. محمد عثمان نجاتي/القرآن وعلم النفس/دار الشروق/١٤١٤م-١٩٨٩/الطبعة الخامسة/ص ٣٨

٢ لمائدة ٨٨

٣ البقرة ٢٧٥

ب . وحل المشكلة الثانية بالزواج : فالزواج هو الحل الجذري لمشكلة الجنس ، وكان الزواج في المجتمع الاسلامي الأول حيث حسنت النوايا وطهرت القلوب وسمت الأخلاق أمرا ميسرا لم تدخله تعقيدات المدنية وفلسفاتها المتعقنة .^(١)

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .^(٢)

فإذا ما عجز المسلم عن الزواج لسبب ما فهناك إعلاء الغريزة أو السمو بها بالعبادة والصوم على حد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ يَمِينِي فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَخَلَوْا فَقَالَ عُثْمَانُ هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ نُزَوِّجَكَ بِكَرٍّ تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا أَشَارَ إِلَيَّ فَقَالَ يَا عَلْقَمَةُ فَأَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ أَمَا لَيْتَ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالْصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ) .^(٣)

١ سيد عدنان الدرازي/ من مفاهيم القرآن في السلوك الفردي والاجتماعي/ دار الهادي/ بيروت-لبنان/ ٢٠٠٠م/ الطبعة الأولى/ ص ٩١

٢ النور ٣٢

٣ صحيح البخاري/ ٤١٦/١٥/ ٤٦٧٧

والروح هي العنصر الثاني الذي يستكمل به البناء الإنساني بعد العقل والجسد .. إنها الطاقة الغيبية الخفية الحية التي تعتبر بالإجماع سر حياة الكائن البشري ، بل سر حياة كل كائن حي .. ومهما قال العلماء فيها أثناء الحياة وبعد الموت فهي مازالت سرّاً غامضاً .. وستبقى سرا غامضاً لأن الله سبحانه وتعالى اختص نفسه بها. قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (١)

كما أن إشباع العقل يكون بالعلم والاختراع والكشف .

وكما أن اشباع حاجتي البطن والفرج يكون بالطعام والشراب والزواج

كان لابد من إشباع الروح حتى لا يختل توازن هذا الثلاث الإنساني . وإشباع الروح في الإسلام لم يأت على حساب العقل والجسد ، ولكنه أتى ليأخذ مكانه في حيزه المعتدل فلا يختل البناء الإنساني ويميل الميزان لغير صالح الفرد و لغير صالح الجماعة. (٢)

فكما دعا القرآن الى النظر والتأمل وإعمال العقل

دعا إلى التمتع بطيبات الحياة من طعام وشراب.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣)

١ الاسراء ٨٥

٢ المدخل الى القيم الاسلامية /ص ٦٨

٣ الجمعة ١٠

أما إشباع الحاجات المعنوية او النفسية فقد مثلت له الآية بالتأمين من الخوف. وهي نعمة كسابقتها
مذكورة على سبيل التثميل لا الحصر. والخوف هو آفة المشاعر النفسية كلها، والخائف المفزوع لا
يهنأ له طعام ، ولا يلذ له شراب ، ولا يسعد بملبس أو مسكن.

والطابع العام أو الضابط المهيمن على هذه العناصر الثلاثة العقل والروح والجسد
والضابط الذي يحقق (الاتساق) او (الهرمونية) بينها هو الاعتدال في المشاعر والأقوال والأفعال ..
هو الوسطية العادلة بلا إفراط أو تفريط بلا إسراف أو تقصير .. وهذا ما نص عليه القرآن الكريم
في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾ (١)

ومن الأحاديث : عن عائشة رضي الله عنها - كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر
حتى نقول لا يصوم.

هذه هي الطبيعة الحقيقية للمثالية الإسلامية ، فهي مثالية واقعية إن صح هذا التعبير وهي واقعية
مثالية لا تحلق بعيدا عن معاناة الأرض وحياة الناس ، ولا تنغمس في الحمأة المنكودة وشهوانية المادة
الصماء (والأخلاق الحقيقية هي التي تضع الضمير الإنساني في وضع متوسط بين (المثالي)
و(الواقعي) وتجعله يدمج بينهما ، وهذا الدمج يؤدي إلى تغير مزدوج في كليهما : ففي عالم الواقع
يحدث جديد.. هو الاتجاه نحو الأفضل. كما أن القاعدة المثالية هي الأخرى باحتكاكها بالحقيقة
الحسية تعدل نفسها لتلائم الواقع ، فإذا احتدم النزاع بين واجبين.. فقد يتعين أن يخلي أحدهما
السبيل أمام الآخر ، أو تحت طبيعة العلاقات المركبة بين الأشياء إيجاد نوع من التوفيق بينهما، أو
يسمح الجانب غير المحدد من القاعدة باختيار حر يؤكد إنسانية الانسان. (٢)

١ البقرة ١٤٣

٢ المدخل الى القيم الاسلامية /ص ٦٩

المطلب الثالث : الهيمنة التشريعية:

تمهيد:-

القصد بهذه السمة أن كل قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية لها طابعها الأخلاقي، ووراءها الدافع الانساني سواء أكانت قاعدة من قواعد المعاملات أو من قواعد العبادات أو من قواعد الحدود.

فقيمة العمل والحكم عليه يكون بالنية المصاحبة له ، أي بالدافع والباعث الذي دفع صاحبه إليه.(١)
يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (نية المؤمن خير من عمله).
وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: (الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى).(٢)

يروى أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذَكَّرَ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُزَيَّ مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ أَعْلَى فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. (٣)

١ المدخل الى القيم الاسلامية /ص ٧٨

٢ مسند الامام الربيع /١/١

٣ صحيح مسلم ٣٥٢٤/٥/١٥

ولهذا قد تصدق النية ، ومع ذلك يؤدي العمل بصاحبه إلى نتيجة خطأ ولكن يؤجر العامل على عمله هذا ، فقد روى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ)^(١)

وعلى المسلم أن يتجنب الشر، ويأتي من الخير ما يستطيع طمعا في الجنة وخوفا من النار، وهذه النية في ذاتها أو هذا الدافع في ذاته لا غبار عليه ، فالمقابل الأخرى، قد وعد الله بة الخيرين من المؤمنين في عشرات الآيات:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾^(٢)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾^(٣)

بهذا يفتح مفهوم الاسلام كل عمل إنساني ، ليتسع كل جوانبها القولي والفعلي ليجزى عليه في الدنيا والآخرة.^(٤)

فالعمل إذن يوزن بميزان النية، والعمل يكتسب أو يعدم قيمته تبعا للدافع الذاتي وهو ما يسمى بالنية وقد أشرنا من قبل الى أن الهيمنة التشريعية هي من أهم سمات القيم الإسلامية ، بمعنى أن كل الأعمال والتكاليف لا تأخذ صورتها السليمة ووجهها الصحيح إلا اذا كان لها طابعها الأخلاقي الإنساني ، وحقت أغراضها الإنسانية التي تعد في ذاتها الحكم التي أرادها الشارع من وضعها...

١ صحيح البخاري/٢٢/٣٣٥/٦٨٠٥

٢ التوبة ١١١

٣ الكهف ١٠٧

٤ المدخل الى القيم الاسلامية /ص ٨٤

المبحث الثالث : نماذج من القيم الإسلامية

المطلب الأول : العفة

ونعني بها سيطرة الانسان على دوافعه الشهوانية والتحكم فيها.

وعند الحديث عن قصص في العفة ، يأتي في مقدمة ذلك أنبياء الله ورسله جميعا، ثم صحابة رسول الله- رضوان الله عليهم أجمعين - ، فهم أعف وأطهر الناس على الإطلاق .. وحسبنا عند ذكر القصص في العفة أن نشير إلى قصة نبي الله يوسف -عليه السلام- لشهرتها ، ولحكاية القرآن لها..

قصة نبي الله يوسف عليه السلام:

هذا نبي الله يوسف عليه السلام تراوده امرأة العزيز عن نفسه ، فيأبى : "مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه ، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع ، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة^(١) وذلك لوجوه:

أحدها: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة كما يميل العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام حتى إن كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء وهذا لا يذم إذا صادف حالا لا بل يحمده.

الثاني: أن يوسف عليه السلام كان شابا وشهوة الشباب وحدته أقوى.

الثالث: أنه كان أعزبا لا زوجة له ولا سرية تكسر شدة الشهوة.

الرابع: أنه كان في بلاد غربة يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره في وطنه وأهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى موافقتها.

السادس: أنها غير آبية ولا ممتنعة، فإن كثيرا من الناس يزيل رغبته في المرأة إباؤها وامتناعها لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها..^(٢)

١ تفسير القرآن المشهور بتفسير المنار/ص ٢٢٨

٢ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزي/الفوائد/الطبعة الأولى /٢٠٠٣م /ص ٢٥٨

مع كل هذه الدواعي إلا أنه قال: {مَعَاذَ اللَّهِ} ^(١) وما ذاك إلا لعفته وعصمة الله له قال تعالى: ﴿وَالْأَنفُسَ الَّتِي كَانَتْ فِي جُثَيِّهَا مِنْ دُمِّهَا﴾ ^(٢)

فيوسف عليه السلام يدخل دخولا أوليا ضمن السبعة الأصناف الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: ((ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله)) ^(٣)

١ يوسف: ٢٣

٢ يوسف: ٣٣

٣ رواه البخاري (١٣٣٤) ومسلم (١٧١٢).

المطلب الثاني : صلة الرحم :

تمهيد:-

صلة الرحم هو المطلب الأساسي لتحقيق ترابط وتآلف افراد المجتمع مع بعضهم البعض.

وان نبينا الكريم قد بلغ من صلة رحمه مبلغاً عظيماً ضرب به المثل على مرّ التاريخ، فما سمعت الدنيا بأوصل منه قرابته، أبناء عمه، أبناء عمومته، أخرجوه من مكة، طاردوه، أرادوا قتله، شتموه، آذوه، حاربوه في المعارك، نزلوه في الميدان، قاموا بثلاثة حروبٍ في بدرٍ وأحدٍ والخندق، ودخل مكة منتصراً، عشرة آلاف سيف متوهجة تنتظر كلمة من فمه، وقفت له الأعلام مكبرة، طنت بذكر نصره الجبال والوهاد، فلما انتصر وقف عند حلق باب الكعبة صلى الله عليه وسلم منحنيّاً وهو يقول للقرابة والعمومة: ماذا ترون أني فاعلٌ بكم؟ فيتصورون الجزاء المر، والقتل الحار، والموت الأحمر، فيقولون وهم يتباكون: أتحّ كريم وابن أخ كريم، فتدمع عيناه، فيقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء، هذا من أعلى درجات العفو، أخرجوه، طاردوه، قاتلوه، شتموه، نكلوا بأصحابه لعشرين عاماً، فلما تمكن منهم، وحياتهم موقوفة على كلمة من فمه، وعشرة آلاف سيف متوهجة تأتمر بأمره، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. (١)

وفي فتح مكة حينما انتصر قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، كأنه يقول عفا الله عنكم وسامحكم، يأتي ابن عمه - أبو سفيان بن الحارث- يسمع بالانتصار، وقد أذى الرسول الكريم، وشتمه، وقتله، فيأخذ هذا الرجل أطفاله، ويخرج بهم من مكة، فيلقاه علي بن أبي طالب يقول له: يا أبا سفيان إلى أين تذهب؟ قال: أذهب بأطفالي إلى الصحراء فأموت جوعاً وعرياً، والله إن ظفر بي محمد ليقطعني إرباً إرباً، يقول له عليّ وهو يعرف رسول الله: أخطأت يا أبا سفيان، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصل الناس، وأبر الناس، وأكرم الناس، فعد إليه وسلم عليه بالنبوة، وقل له كما قال أخوة يوسف : ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ (٢)

فيأتي بأطفاله ويقف على رأس المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول: يا رسول الله: السلام عليك ورحمة الله وبركاته ﴿ تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

فيبكي عليه الصلاة والسلام وينسى تلك الأيام، وتلك الأعمال، وتلك الصحف السوداء، ويقول: ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٣)

١ د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني/صلة الرحم في ضوء الكتاب والسنة/الرياض/١٤٢٦هـ/ص٢٧

٢ يوسف ٩١

٣ يوسف ٩٢

ماكان يفعل هذا عليه السلام الى لِيُعَلِّمَ الناس معنى صلة الرحم.

يا سيدي يا رسول الله، يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك، هذه نبوة النبي، هذه أخلاق النبي، هذه صلة الرحم، العبادة التي تأتي بعد الفرائض .

اما قطيعة الرحم لها أسباب كثيرة، أولها: الجهل بعواقب القطيعة وفضائل الصلة، ضعف التقوى والكبر، الانقطاع الطويل عن الأقارب، العتاب الشديد، هذا يضعف العلاقة، التكلف الزائد أحياناً بإكرامهم بحيث أن الآخر يخاف على هذا القريب من أن يدفع مبالغ فوق طاقته، الشح والبخل، تأخير قسمة الميراث، أحد أسباب قطيعة الرحم، الشراكة بين الأقارب أحد الأسباب، الاشتغال بالدنيا، الطلاق بين الأقارب، بعد المسافة والتكاسل، هذه كلها أسباب، أو الاحتكاك الشديد يأتي إلى قطيعة الرحم من حيث الأولاد أحياناً، قلة التحمل، أن تنسى أقاربك في الولائم والمناسبات و تدعو الأبعد، هذه كلها أسباب تدعو إلى ضعف صلة الرحم.^(١)

المطلب الثالث: الإيثار:

تمهيد:-

ضرب الصحابة أروع أمثلة الإيثار وأجملها، ومن يتأمل في قصص إيثارهم يحسب ذلك ضرباً من خيال، لولا أنه منقول لنا عن طريق الإثبات، وبالأسانيد الصحيحة الصريحة.

وإليك بعضاً من النماذج التي تروي لنا صوراً رائعة من الإيثار:

ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم: (١)

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ عَنْ فَضِيلِ بْنِ غَزْوَانَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَا فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صَبْيَانِي فَقَالَ هَبِّي طَعَامَكَ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ وَنَوِّمِي صَبْيَانَكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً فَهَيَّأْتُ طَعَامَهَا وَأَصْبَحْتُ سِرَاجَهَا وَنَوِّمْتُ صَبْيَانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَكْهَمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا (٢)

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣)

١ سيد قطب/في ظلال القرآن/دار الشروق/الطبعة الشرعية الخامسة/١٩٩٦/ص ٣٥١٧

٢ صحيح البخاري/١٢/١٥٧/٣٥١٤

٣ الحشر ٩

المطلب الرابع: نماذج من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تمهيد:-

يعد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من مبادئ الإسلام، وإثرا القيم التي تعمل على تقدم المجتمع ونموه.

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء، مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) (١)

هكذا يكون حال الناس وموقفهم مما يكون في المجتمع من منكرات بحال قوم ركبوا سفينة فاقسموا أماكنهم فيها بطريق القرعة، فكان من نصيب بعضهم الجزء الأعلى من السفينة وكان من نصيب الآخرين الجزء الأسفل منها، وكان لا بد لأهل السفن من الماء، فكانوا يصعدون لأعلى السفينة ليستقوا الماء، ولما كان ممرهم على أهل العلو فقد تأذوا بهم، إذ ربما أصابهم شيء من رشاش الماء أو أقلقوا وقت راحتهم أو غير ذلك، فلما رأى أهل السفن تأذى أهل العلو بهم عزموا على أن ينقبوا في نصيبهم نقبا يحصلون منه على الماء دون الحاجة إلى إيذاء من فوقهم، ولم يدر هؤلاء أن هذا الخرق الصغير سيؤدي إن ترك إلى هلاك الجميع. (٢)

أن الأمر لا يخلو حينذ من إحد نتيجتين:

اولا: إما أن يقوم أهل العلو بواجبهم في منع هذه الكارثة فينجو الجميع.

ثانيا: وإما أن يتركوهم وشأنهم بدعوى أن نصيبهم يفعلون فيه ما يشاءون، وحينئذ تكون النتيجة الحتمية هي هلاك الجميع.

١ صحيح البخاري/٨٢/٣٩٩/٢٣١٣

٢ سليمان بن عبد الرحمن الحقييل/الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة/الطبعة الرابعة/١٩٩٦م/ج١/ص٤٠

والمجتمع لا يخلوا من بعض صور المنكر والفساد التي يقدم عليها ضعاف الإيمان، وقد يلتمس بعضهم لنفسه مبررا في ما يفعل كأن يقول هذه المنكرات والأخذ على أيدي الظالمين صلح المجتمع ونجا الجميع من غضب الله عزوجل وأما إن تقاعسوا عن الواجب وغلبة كلمة المداهنيين فإن العقوبة الإلهية تعم الجميع، وتلك سنة إلهية لا تتغير ومصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١)

هنا السؤال الذي يطرح على افراد المجتمع هل كل واحد منا قام بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن النكر في مجتمعنا وفي أسواقنا؟ هل كل واحد منا قد قام بالواجب الملقى على عاتقه، ولم تأخذه في الله لومة لائم، أم أنه بدأ يحسب ويضرب أحساسا في أسداس، الوظيفة، والترقية، والنقاط الكثيرة؛ ولذلك يتخاذل عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كم تخرج من كلياتنا من الكليات الشرعية من طلاب العلم؟ يعدون بالآلاف، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقتصر على خريجي كلية الشريعة، إنما هو على كل قادر " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده " (٢)

لو أن كل واحد منا قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما آلت الأمور إلى ما نرى في هذا الواقع...

والحال إن لم يتداركنا الله برحمته نخشى أن يعمنا الله بعقاب من عنده، يعم الصالح والطالح، تسأل إحدى أمهات المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وسلم " أهلك وفيينا الصالحون يا رسول الله؟ قال: نعم إذا كثروا فيكم الخبيث " (٣)

١ الأنفال ٢٥

٢ صحيح مسلم/١/١٦٧/٧٠

٣ صحيح مسلم/١٤/٤٨/٥١٢٨

الفصل الثاني

دور القيم في بناء الشخصية المسلمة

المبحث الأول : المقاربة النظرية في دراسة القيم

المطلب الأول : أثر القيم الإسلامية في بناء الشخصية الإنسانية

المطلب الثاني : أثر القيم في بناء ثقافة المجتمع

المبحث الثاني : المنظور النفسي

المبحث الثالث : المنظور الاجتماعي

المبحث الرابع : النظام الاجتماعي والقيم

المبحث الأول : المقاربة النظرية في دراسة القيم

لاشك أن التصور الذي يحمله الإنسان ونظام القيم الذي يرتبط به يترك أثره في سلوكه سلباً أو إيجاباً وينعكس ذلك الاثر على سير المجتمع وبناء حضارته.

المطلب الأول: آثار القيم الإسلامية في بناء الشخصية الإنسانية .

إن أول شي تثمره القيم الإسلامية في البناء الشخصي للإنسان المسلم هو تقوية صلته بالله عز وجل إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن ، في كل حركاته وسكناته فهو لا يقدم علي شي إلا وهو يراعي حرمة الله ويرجو له وقاراً .. ومعنى ذلك أن المسلم في علاقته بربه يستشعر الخشية والخوف منه في نفس الوقت الذي يتوجه إليه بالرجاء...^(١)

وذلك الخوف وهذا الرجاء يملآن قلبه بشعور عارم من التحرر من جميع المخاوف ، لأنه يشعر بقوة أن الله وحده هو مالك أمره ومقرر مصيره وإليه يرجع الأمر كله ، هو الذي يملك تبارك اسمه أن يضره وأن ينفعه ، أما غيره فأسباب عرضية ليس لها من الأمر شيء .

وهكذا فإن المسلم الذي يتشبع بقيم الإسلام ويتحرر من الشعور بالخوف على الحياة أو الخوف على الرزق أو الخوف على المكانة والمركز ، فالحياة بيد الله ، ليس لمخلوق ساعة أو بعض ساعة^(٢)

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٣)

١ ابن منصور اليميني/ دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية/كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية /٢٠٠٩م-٢٠١٠م/ص ١٩

٢ عباس محمود العقاد/الانسان في القرآن/مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة/٢٠١٣م/ص ٦٦

وإن من الآثار الواضحة لعلاقة الإنسان بربه ، ذلك التركيز لفكر الإنسان وجهوده وطاقاته حول محور واحد هو الولاء لله ولرسوله وملة الإسلام فهذا التركيز هو الدرع الواقي من التشتت والانتظار الذي يضرب الذات بعنف في غياب الإيمان بالله ، وتزداد المسألة وضوحاً إذا أخذنا بعين الاعتبار خصائص مرحلة الشباب التي يفيض فيها الأفراد حيوية وعنفواناً ، مما يولد لديهم ميلاً جارفاً إلى الاندفاع والانفعال والمجازفة ومن هنا فهؤلاء الشباب في حاجة إلى كثير من التروي والتحلي بالصبر والاعتدال في اتخاذ المواقف.

وإذا كانت القيم الإسلامية وعلى رأسها القيمة الإيمانية تترك أثرها في النفس والجسم طمأنينة وسكينة ، فإنها في ترابط عضوي مع تلك الآثار تخلق أثرها الواضح في عقل الإنسان المسلم بفضل ذلك النسيج المحكم من الحقائق والتشريعات وأنماط السلوك التي يتصل بها كيان الإنسان المسلم.^(١)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَائِحِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى .^(٢)

وهكذا يتضح لنا الأثر البناء الذي تتركه القيم الإسلامية في الشخصية الإسلامية الإنسانية بحيث تصوغها صياغة ربانية تمس كل موطن من مواطنها ، ونهز كل وتر من أوتارها ، لينخرط الإنسان بكل كيانه وطاقاته في رفع البناء أمره الله برفعه على هدى من الله .

١ الإنسان في القرآن/ص ١٥٧

٢ صحيح البخاري/١٨/٤٢٦/٥٥٥٢

ويتجلى هذا من خلال قيمة التواضع بين الإنسان وأقرانه وزملائه وجيرانه في المجتمع ، فقيمة التواضع قيمة عظيمة في حياة الإنسان ويبين أثرها في ثقافة المجتمع.

يقول الشاعر ابن العميد في التواضع:

من شاء عيشا هنيئا يستفيد به في دينه ثم في دنياه إقبالا

فلينظرن إلى من فوقه أدبا ولينظرن إلى من دونه مالا

قال الشاعر عن التواضع:

تواضع لرب العرش علك ترفع فما خاب عبد للمهيمن يخضع (١)

فحين يتعامل الناس مع بعضهم بعضا بالتواضع تسود بينهم المودة والمحبة ، وتزول من حياتهم العداوة والبغضاء . لقد خلق الله آدم من طين .. فإذا تأمل الإنسان اصل خلقته ، تواضع ولم يتعالى على خلق الله.

يقول الله تعالى في قيمة وخلق التواضع : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢)

١ أبي الحسن الماوردي/أدب الدنيا والدين/دار اقراء-بيروت/١٩٨٥/ج١/ص٨٣

٢ الفتح ٢٩

وروى أبو داود في سننه : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . (١)

ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية النبيلة يجب على الإنسان أن يضع لافتة أمامه في حياته وفي عمله وفي المنزل تقول : (من تواضع لله رفعه ومن تكبر خفضه) حتى نصل إلى هذه الفضيلة الإنسانية الممتازة وبعدها تتحول إلى سلوك ينعكس أثره في المجتمع .

١ صحيح مسلم/١٤/١٢٤/٥١٠٩

المطلب الثاني : أثر القيم في بناء ثقافة المجتمع :

لقد رأينا في المحور السابق كيف أن القيم الإسلامية قد صنعت من الأفراد الذين تشبعوا بها كائنات فذة ، تحمل من عناصر القوة والحيوية ما استطاعوا بفضلها أن يواجهوا تبعات الحياة ومشاق السير في دروبها الوعرة فإذا كان المجتمع ليس في حقيقته سوى مجموعة الأفراد الذين يتألف منهم فمعنى ذلك أننا بإزاء مجتمع متماسك البنيان،راسخ الأركان،سائر إلى الامام،مضطرد النمو،لأن الإسلام يعتمد في بناء المجتمع على أفراد أقوياء النفوس ممتلئين بالعزم والقدرة على الثبات .^(١)

فكلما كان الطابع الغالب على المجتمع طابع هؤلاء الأفراد الأفذاذ ، كلما كانت شبكتها الاجتماعية شبكة متينة الإحكام.

ومن هنا تخلص إلى الحقيقة التي يقرها القرآن الكريم في قضية التغير الحضاري، وهي أن الإنسان هو الأساس في ذلك التغير، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾^(٢)

١ سيد قطب/في ظلال القرآن/دار الشروق/ج١/ص٥٨

٢ الرعد ١١

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا نَدَّاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى . (١)

هذا الحديث يعرض لنا صورة المجتمع الإسلامي في غاية التضامن أو الترابط والتساند، حتى كأنهم كالجسد الواحد الذي يتأثر مجموعه بتأثر أي عضو فيه. وحتى لا يصيب التخلخل ذلك البنيان، فإن هناك جهازا دقيقا يحرس داخل كل فرد مسلم، إنه جهاز اللوامة التي أقسم بها العزيز الجبار، لعلوها وعظم شأنها، ولضرورتها في استمرار الحياة سليمة، واستمرار مجراها هادئا صافيا من الأكدار ...

قال تعالى : ﴿ لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴾ (٢)

فالكدرات التي تنهات على المجتمع وتهز بناءه، إنما مصدرها النفوس التي تأصلت فيها الأنانية، والأثرة، والكذب والحسد والخيانة .. فإذا ما خلصت النفوس من تلك العلل والأمراض، فإن أفراد المجتمع يكونون متعاونين على البر والتقوى، أي على كل ما تصلح به الحياة وتسعد به النفوس، من جلب للمصالح والمنافع والخيرات التي تخدم المجتمع في حركته نحو تحقيق أهدافه.....

١ صحيح البخاري/١٨/٤٢٦/٥٥٥٢

٢ القيامة ٢

فسياسة الأمة وتسيير دواليبها وأجهزتها في ميادين التعليم والقضاء والزراعة والتجارة والصناعة، لا مفر لها من الاعتماد على رصيد القيم الإسلامية.

إن المجتمع المسلم لا يتألف من أفراد متفوقين على أنفسهم مستغرقين في ذواتهم ، لأنهم يدركون أن ذلك يتنافى مع الغاية من الوجود التي لا تتحقق بغير التعاون واستشعار آصرة الأخوة.

لقد حدد الاسلام العلاقات بين أفراد المجتمع، وأرسى قواعدها بإحكام، بحيث تؤدي إلى أمن المجتمع واستقراره وطمأنينته.^(١)

ويمكننا أن نقول : إن كل الآداب والأخلاق والتشريعات التي جاءت في القرآن الكريم ذات صيغة اجتماعية واضحة، وإن الهدف منها تنظيم الحياة في المجتمع الإسلامي على أساس مبادئ العدل والمساواة والحق التي جاء بها الإسلام.

إن مجتمعا تسري في أوصاله مثل تلك القيم ، لا يمكن أن يتسرب إليه الوهن والاختلال ، لأن أفرادها لا يكتفون بالوقوف عند حدودهم ، فذلك حد أدنى ، بل إنهم ليتجاوزون ذلك إلى تقديم العون إلى بعضهم بعضا ، عملا بما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٢)

١ سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور/التحرير والتنوير/الدار التونسية للنشر/١٩٨٤/ج ١٢/ص ٢٠٤

٢ الأمام أحمد/سنن الترمذي/دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت-لبنان/٢٠٠٥م/٥/٣٢٥/١٣٤٦

والحقيقة التي نبغي أن تظل حاضرة في الأذهان ، هي أن منهج القيم الإسلامية كيان مترابط الأجزاء ، تتشابه فيه العقيدة مع العبادات ، وهذه مع الأخلاق ، والكل يعطينا تلك الثمرة الطيبة التي هي الإنسان المسلم ، وبالنتيجة المجتمع الاسلامي الفاضل وعلى سبيل المثال ، فالصلاة هي إحدى الوسائل التي يجسد بها المسلم قيمة العبودية لله عز وجل، يرغب الإسلام في إقامتها مع الجماعة ويرفع درجاتها إلى سبع وعشرين درجة تأكيداً لروابط المسلمين وتعزيزاً للتعارف فيما بينهم .. كذلك الزكاة عبادة اجتماعية ، لا يخفى دورها في دعم بنية المجتمع الاجتماعي والاقتصادي من خلال ما تزود به بين مال المسلمين ومن خلال معاني المحبة والتكافل التي تتبعها بين الأغنياء والفقراء ، وقس على ذلك بقية الفرائض. والخلاصة من كل مما سبق ، أن القيم الإسلامية والثقافة الاجتماعية لا يزالان قائمين ما دامت قيم الإسلام سائدة وكلما ضعفت و تلاشت ، كلما كان ذلك إيذانا بالانحلال وتفكك عرى المجتمع والحضارة...

إن تمثل النظام القيمي الاسلامي يمكن أن نجمله في كلمة واحدة تحمل معانيه وتجسد غايته ،

وهي كلمة (العبودية لله عز وجل) .

المبحث الثاني : المنظور النفسي

تمهيد:-

هناك وسائل دافعة ووسائل مانعة ، أما **الوسائل الدافعة** فهي التي تنمي الاستعداد النفسي لفعل الخيرات مثل القدوة الصالحة والموعظة والصحة ، والمجموعة الثانية هي **الوسائل المانعة** وهي التي تحول بين المرء ورغبته في سيئ الأخلاق ، وتعطل إرادته واستعداده من الوقوع فيها ومن بين تلك الوسائل المانعة الاعتبار والترهيب والعقوبة.

إن التربية الأخلاقية في نظرة الإسلام تتسم بالعمق والشمول ، حيث إنها تتناول جميع الجوانب الإيجابية للتربية المتكاملة، من أهمها تكوين البصيرة عند المرء ليميز بين سلوكي الخير والشر وتلقي المبادئ التربوية بـ **افعل ولا تفعل** وتطهير النفس من نوازع الشر وتحذير الغير منها، وتحليلها بفضائل الخير ، والدلالة إليها .
والحق أن القرآن العظيم قد زود نظامه الأخلاقي بقاعدة تربوية غاية في الكمال ، وقد انتظم في هذه القاعدة جملة من الوسائل الكفيلة بتفعيل التعاليم الأخلاقية ، وإيجاد العلاج والحلول المناسبة لكل انحراف أو تسبب في الأخلاق ، ومعنى هذا أنها ذات طابع إصلاحي ودعوي ، فالحاجة إلى إبرازها وإعمالها ضرورة اجتماعية .^(١)

١ دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية/ص ٢٢

فقد تناولت أسسه العامة مظاهر الحياة جميعها لشمولية نصوصه ، وتبيانها لكل شيء ، فهو البلسم الشافي من أدواء الإفراط والتفريط ، يهتدي به الإنسان الحائر ويغلب كل بهرج زائف ويقود صاحبه إلى رياض السعادة الحقيقية ، حين ينهل من منهله الروي ، وتستجيب جوارحه لتعاليم الحنيفية السمحة ، والإنسانية اليوم تترنح في سلوكها ، وتضطرب في أنظمتها ، عراها القلق المعنت ، وعصفت بها رياح الانحرافات وركد الضمير الأخلاقي فاستحجرت القلوب ، وجفت منابع الإيمان من الأفئدة ، حين انتشرت أدواء الشهوات في نفوسهم ، وعمهم القلق ، وتغشاهم الاضطراب النفسي ولا منجاة من العذاب المؤلم إلا إذا حمل المسلمون مشعل الهداية (القرآن الكريم) إلى الإنسانية الحائرة في متاهات الجهال ، فلا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا بالتنزيل الحكيم . (١)

كما قال جل وعلا قال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٢)

١ دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية/ص ٢٢

٢ طه : ١٢٣ - ١٢٤

المبحث الثالث : المنظور الاجتماعي

تمهيد:-

ينظر المجتمع إلى القيم على أنها سلوكيات تسعى إلى الرقي به وتدعو إلى التواصل والتكافل ، ، وتحقيق الإندماج والتعاون الذي يشيد المجتمع لتكون كيانا متينا وثيقا...

ومن هنا كان الإنفاق تطهير للقلب وتزكية للنفس ، ثم منفعة للآخرين وعون . وتحري الطيب والنزول عنه للآخرين هو الذي يحقق للقلب الطهارة ، وللنفس التزكية ، وللايثار معناه الكريم . على أن هذا الإيحاء ليس إلزاماً ، فالإلزام - كما ورد في آية أخرى - أن ينفق المنفق من الوسط ، لا أردا ما عنده ولا أعلى ما عنده . ولكن الإيحاء هنا يعالج تطويع النفس لبذل ما هو خير ، والتحبب فيه ، على طريقة القرآن الكريم في تربية النفوس ، وإعداد القلوب . .

أما طريق الإنفاق ومصرفه فيجيء بعد تقرير نوعه :

{ فلولوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل } . .

وهو يربط بين طوائف من الناس . بعضهم تربطه بالمنفق رابطة العصب ، وبعضهم رابطة الرحم ، وبعضهم رابطة الرحمة ، وبعضهم رابطة الإنسانية الكبرى في إطار العقيدة . . وكلهم يتساوون في الآية الواحدة : الوالدين . والأقربون . واليتامى والمساكين وابن السبيل . وكلهم يتضامنون في رباط التكافل الاجتماعي الوثيق بين بني الإنسان في إطار العقيدة المتين .^(١)

ولكن هذا الترتيب في الآية وفي الآيات الأخرى ، والذي تزيده بعض الأحاديث النبوية تحديداً ووضوحاً كالذي جاء في صحيح مسلم عن جابر « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لرجل : ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلاأهلك ، فإن فضل شيء عن أهلِكَ فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا . . . » .^(٢)

هذا الترتيب منهج الإسلام الحكيم البسيط في تربية النفس الإنسانية وقيادتها . . إنه يأخذ الإنسان كما هو ، بفطرته وميوله الطبيعية واستعداداته ؛ ثم يسير به من حيث هو كائن ، ومن حيث هو واقف

١ عبد الباري الجوهري/دراسات في التنمية الاجتماعية/مكتب الجامعة الحديث/١٩٩٩م/ص١٩٦

٢ صحيح مسلم/١٦٣/٥/١٦٦٣

يسير به خطوة خطوة ، صعوداً في المرتقى العالي : على هينة وفي يسر؛ فيصعد وهو مستريح ، هو يلي فطرته وميوله واستعداداته ، وهو ينمي الحياة معه ويرقيها . لا يحس بالجهد والرهق ، ولا يكبل بالسلاسل والأغلال ليجر في المرتقى! ولا تكبت طاقاته وميوله الفطرية ليحلق ويرف! ولا يعتسف به الطريق اعتسافاً ، ولا يطير به طيراناً، إنما يصعد بها به صعوداً هيناً ليناً وقدماه على الأرض وبصره معلق بالسماء ، وقلبه يتطلع إلى الأفق الأعلى ، وروحه موصولة بالله في علاه .^(١)

ولقد علم الله أن الإنسان يحب ذاته ؛ فأمره أولاً بكفائيتها قبل أن يأمره بالإنفاق على من سواها ؛ وأباح له الطيبات من الرزق وحثه على تمتيع ذاته بها في غير ترف ولا مخيلة . فالصدقة لا تبدأ إلا بعد الكفاية . والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول » . وعن جابر - رضي الله عنه - قال « جاء رجل بمثل بيضة من ذهب ، فقال : يا رسول الله . أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها . فأعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه . فأتاه من قبل ركنه الأيسر فقال مثل ذلك ، فأعرض عنه . ثم أتاه من خلفه فقال مثل ذلك ، فأخذها - صلى الله عليه وسلم - فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته . وقال : يأتي أحدكم بما يملك فيقول : هذه صدقة . ثم يقعد يتكفف الناس ،، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ،، .^(٢)

١ دراسات في التنمية الاجتماعية/ص ١٩٧

٢ صحيح البخاري/٥/٢٤٧/١٣٣٧

المبحث الرابع : النظام الاجتماعي والقيم

الوسائل المنوطة بأفراد المجتمع .

أناط الإسلام بالأفراد عددا من هذه الوسائل وجعل بعضها إلزاميا وترك البعض الآخر للتطوع

أ - الوسائل الفردية الإلزامية :

ومن الوسائل الإلزامية التي شرعها الإسلام لتحقيق التكافل ما يلي :

١ - فريضة الزكاة :

وهي من أهم هذه الوسائل وهي فريضة إلزامية فرضها الله على المسلم دينا وجعل للدولة الحق في أخذها منه قهرا إذا هو امتنع عن أدائها . وتأتي أهمية الزكاة من حيث شمولها لمعظم أفراد المجتمع ومن حيث أهمية المقدار الذي تمثله من الثروة العامة حيث تمثل ٢,٥% من مجموع الأموال . وهي نسبة كفيفة لو نظمت بأن تحل كثيرا من المشاكل الاجتماعية الناتجة عن الفقر وأن تسهم في الحد منه، ومن ثم كان لها تأثيرها الحيوي في إشاعة التكافل . هذا فضلا عن آثارها المعنوية حيث تنفي من المجتمع الأحقاد والبغضاء الناتجة عن انقسام الناس إلى مالكين لا يعبتون بغيرهم ومحرومين لا يعبأ بهم (١).

٢ - الكفارات :

وهي ما فرضه الإسلام على المسلم لارتكابه بعض المحظورات أو تركه بعض الواجبات ، ككفارة اليمين إذا حلف المسلم بالله فحنت ، وكفارة الفطر عمدا بدون عذر مقبول شرعا في نهار رمضان وغيرها . وهذه الكفارات في بعض مصارفها إطعام لعدد من المساكين ، ومن هنا كانت وسيلة لتحقيق التكافل (٢)
قال الله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ (٣)

١ الإمام محمد أبو زهرة/التكافل الاجتماعي في الإسلام/دار الفكر العربي/١٩٩١م/ص٦٦

٢ التكافل الإجماعي في الإسلام/ص٨٥

٣ المائدة ٨٩

٣ - صدقة الفطر :

وهي صدقة يجب إخراجها يوم عيد الفطر بعد شهر رمضان ومقدارها ثلاثة كيلو غرام تقريبا من غالب قوت البلد ، وهي واجبة على كل مسلم الرجل والمرأة والصغير والكبير وهدفها كما قال صلي الله عليه وسلم « أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم »^(١)

٤ - إسعاف المحتاج :

حيث يلتزم من علم بأن جاره جائع ولا يجد ما يأكل أن ينقذه إذا كان ذلك في استطاعته يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » ويقول : « برئت ذمة الله من أهل عرصة بات فيهم جائع » والإسلام يعطي الحق لمن وصل إلى هذه الدرجة أن يأخذ ما يدفع عنه الجوع من الآخرين ولو بالقوة إن احتاج الأمر لذلك .^(٢)

١ أبي ذر القلموني/أحكام الصيام والقيام وزكاة الفطر/مكتبة الصفاء/الطبعة الأولى ٢٠٠٧م/ص٥٣

٢ للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي/حقوق الجار/الدار البيضاء/ص١٩

ب - الوسائل الفردية التطوعية :

وإذا كان الإسلام قد أرسى وسائل إلزامية للتكافل فإنه أيضا فتح الباب أمام التطوع وذلك من خلال تشريعه لوسائل التكافل الطوعية والتي منها :

١ - الوقف :

فقد شرع الإسلام الوقف وجعله من أفضل الأعمال وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » ومعنى الوقف أن يتبرع المسلم بعين تبقى لمدة من الزمن لجهة معينة شريطة عدم التصرف في العين مع الاستفادة من منافعها وغلاتها وذلك كعمارة سكنية أو استثمار أو أرض زراعية أو غير ذلك . وقد عرف الوقف في التاريخ الإسلامي بكثرة وتنوع مصادره وتعدد أهدافه وجهاته حيث شكل مرفقا حيويا للمجتمع يقوم حتى اليوم بالوظائف العامة والأمن والرعاية الاجتماعية للفئات المحتاجة .^(١)

٢ - الوصية :

وهي أن يوصي الشخص عند موته بنسبة من ماله لشخص معين أو جهة معينة أو جماعة من الناس بأعيانهم أو بأوصافهم أو أي جهة من جهات الخير . وقد رغب الإسلام في الوصية ، قال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تصدق عليكم بثلاث أموالكم عند موتكم » لا أن الإسلام وازن بين حقوق الورثة والموصى إليهم حيث منع الوصية بأكثر من الثلث اعتبارا لحق الورثة ومراعاة لظروفهم بعد الميت وقد سأل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو « سعد بن أبي وقاص سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إني رجل ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأوصي بثلاثي مالي ؟ قال : لا ، الثلث والثلث كثير . إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس) » العلاقات الاجتماعية وإقامتها على المشاركة والتعاون ، وأنكر على من يمنع هذا الحق ما دام لا يلحق به ضرر وقرنه بالتقصير في الصلاة .^(٣)

١ أحمد محمود الشافعي/الوصية والوقف في الإسلام/كلية الحقوق جامعة الإسكندرية/١٩٩٤م/ص١٩١

٢ البقرة ١٨٠

٣ الوصية والوقف في الإسلام/ص١٨

٣- العارية :

وهي تمكين الشخص غيره من استخدام وسائله مجانا شريطة أن يردّها له . وقد حث الإسلام على هذا الأسلوب من التعاون والتكافل لما له من آثار إيجابية وبناءة في غرس المحبة بين أفراد المجتمع وفي تقوية الصلاة من أهم أركان الإسلام ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (١) والماعون لفظ يطلق على الأدوات والوسائل التي تستخدم في مختلف المناشط الحياتية كالآنية والآلات اليدوية . وجعل الإسلام في مقابل هذا الحق وجوب الوفاء بالجميل للمعير برد أدواته إليه مع المحافظة عليها وصيانتها من التلف قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ (٢) وقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٣)

٤ - الهدية والهبة :

وقد حث الإسلام على تبادل الهدايا ذاكرا دورها في تقوية النسيج الاجتماعي وإشاعة روح الألفة والمودة بين أفراد المجتمع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تهادوا تحابوا » (٤)

١ الماعون ٤-٦

٢ النساء ٥٨

٣ المؤمنون ٨

٤ التكافل الاجتماعي/ص ٦٤

مسؤولية الدولة:

وإذا كان الإسلام قد أعطى عناية كبيرة لوسائل التكافل الفردية فإنه لم يكتف بها بل أقام إلى جانبها الوسائل العامة التي جعلها من مسؤولية الدولة ومن واجباتها الاجتماعية .
ومن أهم هذه الوسائل :

أ- تأمين موارد المال العام

وذلك باستثمار المحيط الطبيعي للدولة وما ينطوي عليه من ثروات باستخراج معادن الأرض وكنوز البحار وكافة الثروات التي أودعها الله في الكون واستخلف فيها الإنسان وجعله سلطانا على تسخيرها والانتفاع بها في حياته ليتحقق أقصى حد للرفاهية الاجتماعية الشاملة التي لا تقتصر على فئة دون فئة أو مجال دون آخر . ولو أن كل دولة قامت بواجبها في هذا المجال ووزعت نتائج هذه المصادر بالقسط -خدمات عامة وفرص عمل- لأقبلت المجتمعات الإنسانية كلها على نهضة جبارة .

ب- إيجاد فرص عمل للقادرين عليها

وذلك بالبحث عن أفضل الحلول لمواجهة البطالة وبإقامة المشاريع البناءة التي تساهم في النهضة العامة وتوفر في ذات الوقت فرص العمل للأيدي العاطلة بعدالة تامة ومراعاة للحاجات العامة وإعطاء الأولوية للفئات الفقيرة المحرومة ، ونذكر هنا تلك الحادثة التي لها دلالتها حيث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله فأعطاه درهما وأمره أن يشتري به فأسا ويذهب إلى الغابة فيحتطب ويأتيه بعد فترة فلما جاءه أخبره أنه وفر قدرا من المال لحاجته وتصدق بالبعض الآخر فقال صلى الله عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله ويحتطب خيرا له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعه »

ج - تنظيم وسائل التكافل الفردي :

فعند ما يتعرض المجتمع لأوضاع غير عادية يصل فيها التفاوت الاجتماعي إلى حد غير مأمون وتعجز الدولة بمواردها العامة عن تلبية الحاجات الاجتماعية وعن القيام بوظائفها وواجباتها تجاه المجتمع ، فلا مانع بل يجب - في رأي معظم فقهاء الإسلام - أن تفرض الدولة في أموال الأغنياء ما يحقق ذلك حتى تعود الأوضاع إلى حالتها السوية على أن تكون في ذلك قوامه بالقسط وأن تكون الدوافع الحقيقية هي خدمة الصالح العام .^(١)

١ التكافل الاجتماعي في الإسلام/ص ٦٥

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والرسل والخلق أجمعين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم....فالقيم أصبحت عملة نادرة في عالم اليوم ، حيث اختلطت هذه القيم بالماديات ، فساد عالم اليوم فساد وقلق وتوتر وعصبية وانحراف ، مما أدى للارتفاع الكبير في عالم الجريمة وانتشار الانتحار واليأس والقنوط ، وسبحان الله ، فلا مخرج مما يحدث في عالم اليوم إلا بالعودة للقيم الإسلامية الجميلة ، ولم لا فهي تشكل أهمية كبيرة بالنسبة لكل شيء إنها :

١. تجعل من الإنسان إنساناً بمعنى الكلمة .
٢. تجعل الإنسان مواطناً صالحاً ذو نفسٍ سعيدة .
٣. تجعل الإنسان يعيش في حنان وودٍ وطمأنينة .
٤. تؤثر في المجتمع وتجعل بني البشر يعيشون كالجسد الواحد .

فما أحوجنا اليوم لأن نزداد تمسكاً بقيمنا العربية الإسلامية الأصيلة التي تنتشلنا من الضياع الذي يشعر به الغرب ، وما أحوجنا اليوم لأن نكسب أبنائنا والأجيال الجديدة كلها هذه القيم لكي تتواصل الأجيال ولا تصطدم قيمنا بقيمهم المستوردة ، وما أشد احتياجنا اليوم للتمسك بقيمنا الأصيلة في مواجهة العولمة والحملة الشرسة من الفضائيات والقطب الواحد ، بل ما أشد احتياجنا للقيم الإنسانية الرائعة لنشرها بين أبناء الأمم الغربية لكي نستطيع مد جسور الصداقة والتعاون والود المفقود بيننا وبينهم ولكي يعرفوا عظمة ما أنزل الله إلى البشرية من قيم عظيمة وآداب جليلة من أجل سعادة البشر وهنائه وسروره ، من خلال الإسلام العظيم الذي ارتضاه رب العالمين ديناً للبشرية جمعاء إلى يوم الدين...

المراجع

- ١ القرآن الكريم
- ٢ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري/صحيح البخاري/دار طوق النجاة/الطبعة الأولى/١٤٢٢هـ
- ٣ أبي ذر القلموني/أحكام الصيام والقيام وزكاة الفطر/مكتبة الصفاء/الطبعة الأولى ٢٠٠٧م
- ٤ أحمد محمود الشافعي/الوصية والوقف في الإسلام/كلية الحقوق جامعة الإسكندرية/١٩٩٤م
- ٥ الإمام أحمد/سنن الترمذي/دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت-لبنان/٢٠٠٥م
- ٦ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزي/الفوائد/الطبعة الأولى/٢٠٠٣م
- ٧ الإمام محمد أبو زهرة/التكافل الاجتماعي في الإسلام/دار الفكر العربي/١٩٩١م
- ٨ إسماعيل عبد الفتاح الكافي/موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية/مركز الاسكندرية للكتاب
- ٩ ابن منصور اليميني/ دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية/كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية /٢٠٠٩م-٢٠١٠م
- ١٠ ابي الحسن الماوردي/أدب الدنيا والدين/دار اقراء-بيروت/١٩٨٥
- ١١ جابر قبيحة/المدخل الى القيم الإسلامية/دار الكتب الإسلامية -دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني/بيروت-لبنان
- ١٢ د.سعيد بن علي بن وهف القحطاني/صلة الرحم في ضوء الكتاب والسنة/الرياض/١٤٢٦هـ
- ١٣ د.محمد عثمان نجاتي/القرآن وعلم النفس/دار الشروق /الطبعة الخامسة /١٤١٤م-١٩٨٩
- ١٤ ربيع بن حبيب بن عمر بن الربيع الفراهيدي/مسند الامام الربيع
- ١٥ سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي /القيم الاسلامية ودورها في تقديم الحلول للمشكلات البيئية العالمية /وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان
- ١٦ سيد قطب/في ظلال القرآن/دار الشروق/الطبعة الشرعية الخامسة/١٩٩٦
- ١٧ سليمان بن عبدالرحمن الحقييل/الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة/الطبعة الرابعة/١٩٩٦م
- ١٨ سيد عدنان الدرازي/ من مفاهيم القرآن في السلوك الفردي والاجتماعي/دار الهادي/بيروت-لبنان /الطبعة الأولى/٢٠٠٠م
- ١٩ سيد الأمام محمد رشيد رضا/تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار/دار الكتب العلمية/بيروت-لبنان/١٨٦٥م-١٩٣٥م
- ٢٠ سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور/التحرير والتنوير/الدار التونسية للنشر/١٩٨٤
- ٢١ عباس محمود العقاد/الانسان في القرآن/مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة/٢٠١٣م
- ٢١ عبد الباري الجوهري/دراسات في التنمية الاجتماعية/مكتب الجامعة الحديث/١٩٩٩م
- ٢٣ للإمام الحافظ ابي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي/حقوق الجار/الدار البيضاء
- ٢٤ للأمام ابي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي محمد الجوزي/زاد المسير في علم التفسير/ دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان
- ٢٥ مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري/صحيح مسلم/دار طيبة/٢٠٠٦م

الفهرس

ت	الموضوع	رقم الصفحة	
		من	الى
١	مقدمة	٤	٧
٢	تعريف القيم الاسلامية	٩	٩
٣	خصائص القيم الاسلامية	١٠	٢٧
٤	نماذج من القيم الاسلامية	٢٨	٣٤
٥	المقاربة النظرية في دراسة القيم	٣٦	٤٣
٦	المنظور النفسي	٤٤	٤٥
٧	المنظور الاجتماعي	٤٦	٤٧
٨	النظام الاجتماعي والقيم	٤٨	٥٢
٩	الخاتمة	٥٣	٥٣
١٠	المراجع	٥٤	٥٤

ثم بحمد الله